المقاومة ، او الى عطل اساسي في العربي كانسان، فتكون النتيجة تثبيط الهمم وشل ارادة الصراع ، شتم المقاومة ومقاتليها وقادتها ، تضخيم أخطائها — الاخطاء التي ترافق كل حركة ثورية— والتركيز عليها مهما كانت طفيفة ، وارجاع الفشل الى هذه الاخطاء اليومية والتكتيكية التي لا يخلو نضال ثوري منها ، اي نهائيا الى قصور ذاتي . هذا مع الاسف ما بدأنا نراه ونسمعه والالم يمزق قلوبنا . وأسوأ من ذلك انه أخذ يصدر عن بعض الذين ساهموا في ذلك الفكر المقاوم الشعائري التبشيري الذي أساء الى المقاومة أكثر من أعدائها . او قد تكون النتيجة محاولة اخرى في تجديد الجهد للتغلب على « الخلل الذاتي » . لو استطاعت المقاومة ان تتجاوز مماحكاتها وخصوماتها ولو استطاعت ان تعالج التجزئة التي تضعفها ولو استطاعت تصحيح أخطائها التكتيكية ولو استطاعت أن توفق الى منظّر وقائد عسكري من طراز جياب الخ ... اذن لصح الوضع ، ولاستطاعت المقاومة ان تحقق دورها كحرب شعبية تحريرية تحرر فلسطين « من النهر الى البحر » . هذه نغمة لا نزال نسمعها ونضج بها منذ ان برزت المقاومة .

هذا القول لا يعني ابدا اننا نغفل من اهمية هذه الناحية الذاتية او من ضرورة معالجتها وتجاوزها(٤). اننا على العكس نعلق اهمية قصوى على ذلك ان ارادت المقاومة ان تمارس فاعلية عسكرية صحيحة . ولكن ما نود التنبيه اليه هو ان معالجة هذا « النقص » وان تمت على اكمل وجه فانها لن تستطيع ان تحول العمل الفدائي الى حرب شعبية تحريرية تؤدي الى اسقاط اسرائيل. ذلك يؤدي فقط الى زيادة فاعلية دورها الذي حددناه في مناسبات اخرى ، « كدور تعثير وتخريب تمهيدا للتحرير » الذي يجب ان يكون من صنع الامة العربية كلها وفي طليعتها الجيوش النظامية . وذلك مرة اخرى لان الاوضاع الموضوعية لا ولن تسمح لها بممارسة دور اسقاط اسرائيل او قد تكون النتيجة بروز هوة واسعة بين المقاومة ومقاصدها، بينها وبين الجماهير العربية نفسها . الفكر المقاوم انتدب المقاومة لانجاز مقاصد يستحيل عليها انجازها ، ولذلك نرى ان الهوة بين هذه المقاصد وبين قدرة المقاومة الفعلية كانت تتسع مع الوقت . ولكن هذا الفكر تجاهل ذلك وأمعن في لوثته ، واسترسل في معاندة الواقع بدلا من تعديل موقفه الاستراتيجي في ضوء هذا الواقع(٥). الخطر في موقف كهذا ان هذه الهوة بين المقاصد التي انتدبت لها المقاومة وبين قدرتها الحقيقية ، الهوة التي تعود اساسيا الى اوضاع موضوعية طوبغرافية وديمغرافية وسياسية في الارض المحتلة قد يؤدي، وبالفعل اخذت تؤدي ، الى بروز هوة اخرى بين المقاومة وبين الجماهير العربية . فمما لا شك فيه ان هذه الجماهير ابتدأت تخسر شيئا من حماسها السابق للمقاومة . هذا واقع يجب ان نواجهه بجرأة ، بدلا من تجاهله او الخروج منه بالمزيد من التبشير . وان تجاهل هذه الهوة بين المقاصد وبين القدرة الفعلية التي تسمح بها الاوضاع الموضوعية يعني ان الثورة ترجع الى ذاتها وتنشغل بها بدلا من الانشغال بالعدو فتنمو التصورات الذاتية على حساب التحليلات الموضوعية وتبرز المهاترات والمزايدات والمماحكات والخصومات الهامشية على حساب الممارسة الثورية ، وتلعب الانشقاقات والصراعات الجانبية دورا يجب الا تلعبه على حساب مقاتلة العدو . هذه الظواهر هيمنت ، كما نعلم ، على المقاومة بقدر كان يسيء اليها ويعثر سيرها . انها ظواهر لا تعود الى اسباب ذاتية في المقاتلين ولا الى نقص في ارادة القتال والتضحية ولم تبرز لان مقاتلي المقاومة هم اضعف انسانيا وأقل اقبالا على الموت من اخوانهم في الجزائر او من مقاتلي الفيتكونغ ، بل لان الاوضاع الموضوعية في الارض المحتلة لا تتفتح للمقاصد والمهمات التي انتدبت لها المقاومة الفلسطينية من قبل الفكر المقاوم . انني اذهب الى ابعد من هذا فأقول ان جميع «الاخطاء التكتيكية» التي ترجع الى المقاومة تعود اساسيا الى خطأها الاستراتيجي الاساسي في تبني دور التحرير كحرب شعبية ، الى غياب الاوضاع الموضوعية التي

---

(٤) كتاباتي كلها دليل على ذلك . راجع بشكل خاص « من النكسة الى الثورة » و « من الحقيقة الانسانية الى الحقيقة الانقلابية » .

(٥) رغم ظهور الهوة التي تدل بأن المقاومة لا تستطيع ان تتحول الى حرب شعبية تؤدي الى اسقاط اسرائيل ، فان الفكر المقاوم لا يزال متمسكا بهذا الدور . ففي ندوة فلسطين العالمية المنعقدة في الكويت في فبراير ١٩٧١ كان هذا الدور يسود الجو بشكل كان يستحيل فيه التنبيه الى ان الاوضاع الموضوعية لدور من هذا النوع لا تتوفر .